

زرقاء اليمامة.. ضحية قومها

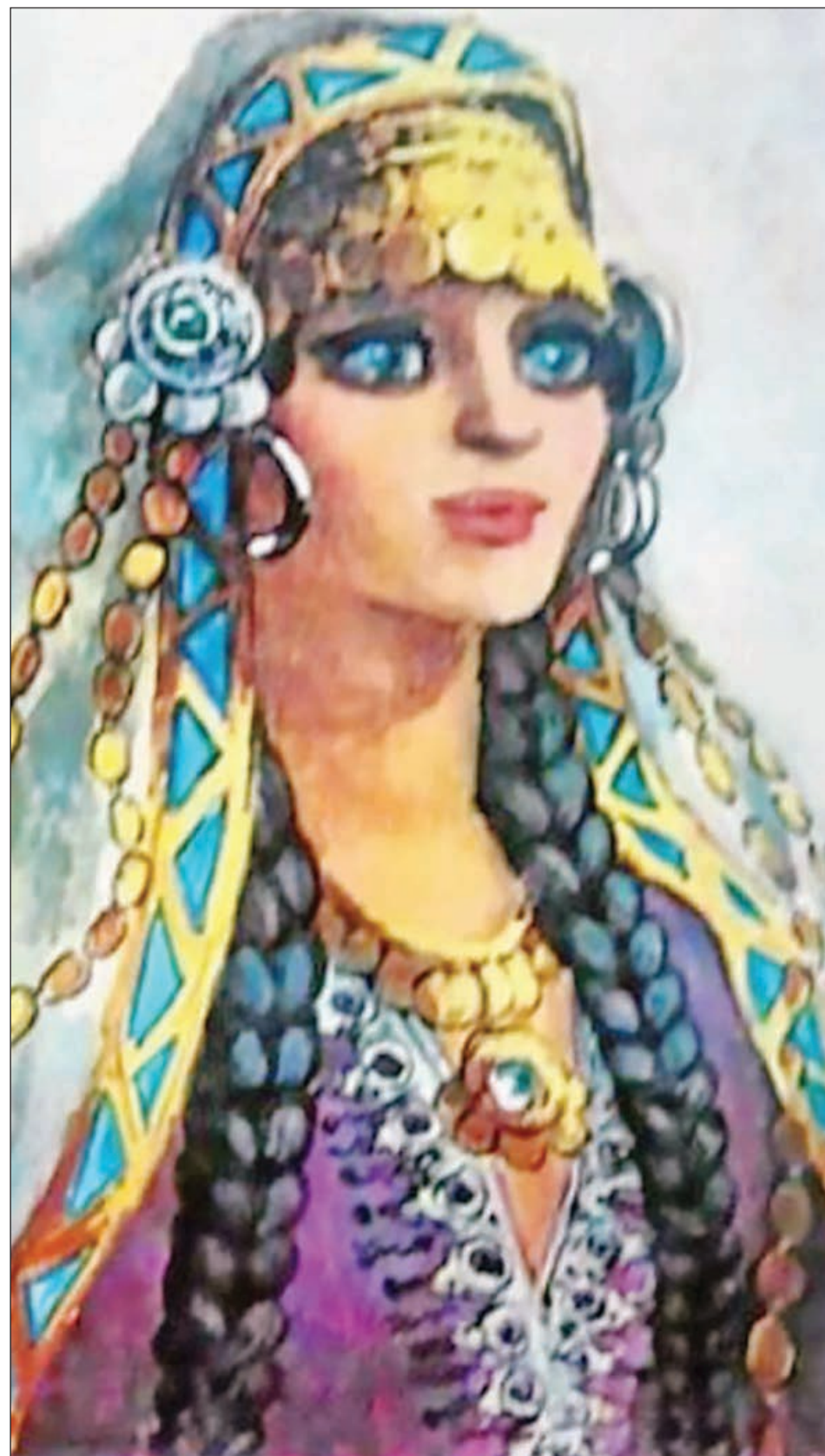
أن تنظر لمسافات بعيدة حيث أنها كانت تستطيع أن ترى شخصا على بعد مسيرة ثلاثة أيام ، حيث قد روي عنها أنها في إحدى الحروب في عصرها أظطر جيش العدو إلى قطع الكثير من الأشجار والقيام بحملها أمامهم كنوع من التخفي والتضليل والإخفاء حتى لا تراه زرقاء اليمامة وتنبه قومها ليستعدوا للقاء جيش الأعداء حيث أنه بالفعل قد استطاعت زرقاء اليمامة أن تراه جيش الأعداء من على بعد كبير للغاية من مدينتها فقامت بتنبهه وتحذير قومها لكنهم لم يصدقوها ظنا منهم أنها تهزي وخاصة أنها قالت لهم أن هناك شجر يقرب من المدينة وراءه بشر مما دعاهم إلى السخرية منها واتهامها بالخرف والجنون وبالفعل أستطاع جيش الأعداء الوصول إلى المدينة ومفاجأة أهلها وقاموا بالهجوم عليهم وإبادتهم وهدموا المدينة حتى أنهم بعد أن تمكنوا من المدينة وهزيمة أهلها قاموا بقلع عين زرقاء اليمامة حيث وجدها محشوة بمادة الأثمد وهو ذلك الحجر الأسود الذي كانت تقوم زرقاء اليمامة بدقه وطحنه وتكحيل عينيها به ومن يومها أطلق عليها زرقاء اليمامة نسبة إلى الزرقاة المتكونة في عينيها من الأثمد ، حيث كان العرب يقومون بضرب الأمثال بزرقاء اليمامة وذلك لما امتلكته من قوة نظرها وحدته ، حيث قيل أن نسبة إلى اليمامة أي أسماها سميت بلديتها باسمها حيث يقال أن أسم البلدة الأصلي كان جو وكانت تقع في سهل فسيح واسع أطلق عليه هذا الاسم نظرا لاتساعه الشديد حيث قد ذكرت قصتها في العديد من الكتب العربية ومنها :-

وذكرت قصة زرقاء اليمامة أيضاً في العقد الفريد وقيل عنها أنها امرأة كانت تعيش باليمامة حيث أنها كانت تتمتع بنظر قوي وحاد للغاية حتى أنها كانت تستطيع رؤية الشعرة البيضاء في اللبن بل أنها تستطيع نظراً لقوة بصرها أن تنظر الراكب ولو كان على مسيرة ثلاثة أيام كاملة من مدينتها حيث ذكر في الكتاب أنها قامت بإنذار قومها وتنبههم في حالة أن تعرضوه لهجوم الأعداء عليهم حيث كان لا يأتي جيش من أعدائهم إلا وقد رأته زرقاء اليمامة قبل وصوله المدينة ونبهت قومها فاستعدوا له إلى أن قام الأعداء ذات مرة بحيلة مكررة للتستر والاختفاء من زرقاء اليمامة حيث قام جيشهم بقطع الأشجار وقاموا بوضعها في مقدمة جيشهم لتضليل أهل اليمامة ومفاجئتهم والهجوم المفاجئ عليهم ، حيث بالفعل نظرت زرقاء اليمامة فقالت أني أرى شجراً قد أقبل عليكم فما كان من قومها أن سخره منها ومن تنبيهها لهم ولم يأخذوه تحذيرها لهم على حمل الجد إلا أن فاجئهم جيش الأعداء وقام بالهجوم عليهم وهزيمتهم شر هزيمة بل قام جيش الأعداء بقتل زرقاء اليمامة بعد أن قاموا بقلع عينيها حيث أنهم عندما قلعوه عينيها وجده في عروق عينيها مادة الأثمد الزرقاء وذلك يرجع لكثرة احتلالها به .

جاء وصفها بأنها امرأة كانت تستطيع أن ترى الشخص من بعد مسيرة (٣) أيام حيث روي الكتاب قصتها كالاتي أن هناك رجلاً يدعى رياح بن مرة وكان وزيراً للملك يدعى حسان حيث قال رياح ابن مرة ملكه أيها الملك أني لي أختاً متزوجة في مدينة جديس وتدعى زرقاء ، حيث أنها زرقاء لما تقدر أن تراه بعينها حيث أنها تقدر على رؤية شخص من مسيرة تعادل يوم وليلة كاملة وأنني أخاف أن تنظرنا فتقوم بتحذير قومها فيستعدوا لنا فلذلك فأمر أصحابك ليقطعوا أغصان الشجر ويتخفون ورائها ويتخذون من الأغصان ستار حتى نحتال على زرقاء اليمامة فكان رد الملك إذن فلنسير بالليل فرد عليه رياح بن مرة قائلاً أن بصرها بالليل أنفذ وأقوى فقام الملك بأمر جيشه بقطع الأشجار والاختباء ورائها حيث عندما ما اقتربوا من اليمامة بالليل نظرت الزرقاء وقالت لقومها يا آل جديس لقد سارت إليكم الشجراء أي الأشجار وأنتكم أوائل خيل حمير أي أوائل جيش الأعداء فسخره منها قومها وكذبوها إلا أن أتاهم جيش الأعداء وفاجئهم وغلبيهم ودخل مدينتهم وأمسكوا بزرقاء اليمامة فسألها ملكهم قائلاً ماذا رأيته فردت قائلة رأيت الشجر خلفها بشر فقام الملك لتلافي خطرنا بقلع عينيها وأمر بصلبها على باب المدينة ومن يومها تم تغيير أسم المدينة من جديس أو جو كما ذكرت المراجع والكتب إلى اليمامة وأصبح أسم زرقاء اليمامة من أحد أشهر الشخصيات العربية القديمة .

جاء وصفها بأنها امرأة كانت تستطيع أن ترى الشخص من بعد مسيرة (٣) أيام حيث روي الكتاب قصتها كالاتي أن هناك رجلاً يدعى رياح بن مرة وكان وزيراً للملك يدعى حسان حيث قال رياح ابن مرة ملكه أيها الملك أني لي أختاً متزوجة في مدينة جديس وتدعى زرقاء ، حيث أنها زرقاء لما تقدر أن تراه بعينها حيث أنها تقدر على رؤية شخص من مسيرة تعادل يوم وليلة كاملة وأنني أخاف أن تنظرنا فتقوم بتحذير قومها فيستعدوا لنا فلذلك فأمر أصحابك ليقطعوا أغصان الشجر ويتخفون ورائها ويتخذون من الأغصان ستار حتى نحتال على زرقاء اليمامة فكان رد الملك إذن فلنسير بالليل فرد عليه رياح بن مرة قائلاً أن بصرها بالليل أنفذ وأقوى فقام الملك بأمر جيشه بقطع الأشجار والاختباء ورائها حيث عندما ما اقتربوا من اليمامة بالليل نظرت الزرقاء وقالت لقومها يا آل جديس لقد سارت إليكم الشجراء أي الأشجار وأنتكم أوائل خيل حمير أي أوائل جيش الأعداء فسخره منها قومها وكذبوها إلا أن أتاهم جيش الأعداء وفاجئهم وغلبيهم ودخل مدينتهم وأمسكوا بزرقاء اليمامة فسألها ملكهم قائلاً ماذا رأيته فردت قائلة رأيت الشجر خلفها بشر فقام الملك لتلافي خطرنا بقلع عينيها وأمر بصلبها على باب المدينة ومن يومها تم تغيير أسم المدينة من جديس أو جو كما ذكرت المراجع والكتب إلى اليمامة وأصبح أسم زرقاء اليمامة من أحد أشهر الشخصيات العربية القديمة .

جاء وصفها بأنها امرأة كانت تستطيع أن ترى الشخص من بعد مسيرة (٣) أيام حيث روي الكتاب قصتها كالاتي أن هناك رجلاً يدعى رياح بن مرة وكان وزيراً للملك يدعى حسان حيث قال رياح ابن مرة ملكه أيها الملك أني لي أختاً متزوجة في مدينة جديس وتدعى زرقاء ، حيث أنها زرقاء لما تقدر أن تراه بعينها حيث أنها تقدر على رؤية شخص من مسيرة تعادل يوم وليلة كاملة وأنني أخاف أن تنظرنا فتقوم بتحذير قومها فيستعدوا لنا فلذلك فأمر أصحابك ليقطعوا أغصان الشجر ويتخفون ورائها ويتخذون من الأغصان ستار حتى نحتال على زرقاء اليمامة فكان رد الملك إذن فلنسير بالليل فرد عليه رياح بن مرة قائلاً أن بصرها بالليل أنفذ وأقوى فقام الملك بأمر جيشه بقطع الأشجار والاختباء ورائها حيث عندما ما اقتربوا من اليمامة بالليل نظرت الزرقاء وقالت لقومها يا آل جديس لقد سارت إليكم الشجراء أي الأشجار وأنتكم أوائل خيل حمير أي أوائل جيش الأعداء فسخره منها قومها وكذبوها إلا أن أتاهم جيش الأعداء وفاجئهم وغلبيهم ودخل مدينتهم وأمسكوا بزرقاء اليمامة فسألها ملكهم قائلاً ماذا رأيته فردت قائلة رأيت الشجر خلفها بشر فقام الملك لتلافي خطرنا بقلع عينيها وأمر بصلبها على باب المدينة ومن يومها تم تغيير أسم المدينة من جديس أو جو كما ذكرت المراجع والكتب إلى اليمامة وأصبح أسم زرقاء اليمامة من أحد أشهر الشخصيات العربية القديمة .



ومن كتاب آثار البلاد وأخبار العباد: «زرقاء اليمامة، كانت ترى الشخص من مسيرة ثلاثة أيام، ولما سار حسان نحو جديس قال له رياح بن مرة: أيها الملك إن لي أختاً متزوجة في جديس واسمها الزرقاء، وأنها زرقاء ترى الشخص من مسيرة يوم وليلة، أخاف أن ترانا فتندثر القوم بنا. فمر أصحابك ليقطعوا أغصان الأشجار وتسترنا بها لتشبهوا على اليمامة. وساروا بالليل فقال الملك: وفي الليل أيضاً؟ فقال: نعم! إن بصرها بالليل أنفذ! فأمر الملك أصحابه أن يفعلوا ذلك، فلما دنوا من اليمامة ليلاً نظرت الزرقاء وقالت: يا آل جديس سارت إليكم الشجراء وجاءتكم أوائل خيل حمير. فكذبوها فأنشأت تقول:

خذوا خذوا حذرکم یا قوم بنفعکم
فليس ما قد أرى مل أمر يحتقر
إني أرى شجراً من خلفها بشر
لامر اجتمع الأقوام والشجر
فلما دهمهم حسان قال لها: ماذا رأيت؟ قالت: الشجر خلفها بشر! فأمر بقلع عينيها وصلبها على باب

زرقاء اليمامة شخصية عربية قديمة، هي امرأة نجدية من جديس من أهل اليمامة، يقال أنها كانت ترى الشخص من على مسيرة ثلاثة أيام. يروي أنه في إحدى الحروب استتر العدو بفروع الأشجار وحملوها أمامهم، فرأت زرقاء اليمامة ذلك فأنذرت قومها فلم يصدقوها، فلما وصل الأعداء إلى قومها أبادوهم وهدموا بنيانهم، وقلعوا عيني زرقاء اليمامة فوجدوها محشوة بالأثمد وهو حجر أسود كانت تدقه وتكتحل به. وسميت زرقاء اليمامة بهذا الاسم لزرقاة عينيها.

تضرب العرب المثل بزرقاء اليمامة فيقال «أنصرت من زرقاء» لجودة بصرها ولحدة نظرها، ويقال إن اليمامة اسمها وبها سميت بلديتها اليمامة، واسم البلدة جو وتقع بلديتها اليمامة في سهل فسيح يسمى جو لأنه فسيح كجو الفضاء، وربما قيل: زرقاء الجو كما قال أبو الطيب المتنبي:

وأبصر من زرقاء جو لأنني
إذا نظرت عينايا ساواهما علمي

قوة البصيرة

إن التدقيق في قصة زرقاء اليمامة يجعلنا نكتشف أن ميزتها الأساسية لم تكن قوة البصر، بل البصيرة. فالبصيرة هي قوة الإدراك والفتنة، أما البصر فهو حاسة أو قوة يمتلكها الإنسان لرؤية ما حوله. إذ يروي عنها أنها حذرت قومها من شجر يسير، وكان الأعداء قد علموا بقوة بصرها فقطعوا الأشجار واستتروا بها حتى لا تكشفهم، فلما أخبرت زرقاء قومها بأن هناك شجراً يسير لم يصدقوها وسخروا منها، فلما أظبق أعداؤهم عليهم وباغتوهم أدركوا صدق زرقاء، ولكن بعد فوات الأوان. ولذلك، ربما تكون زرقاء اليمامة قد حذرت قومها من الغزاة، وليس بالضرورة أن تكون فعلت ذلك باستخدام بصرها، بل ربما سمعت عن الغزاة من المسافرين أو العيون «الجواسيس»، أو ربما كانت تريد من قومها البقاء في حالة استعداد وعدم التراخي حتى لا يكونوا لقمة سائغة لعدوهم الملك حسان الحميري، الذي ينسب غزو اليمامة له. ولكن النهاية المأساوية للقصة التي تمثلت في احتياج العدو مساكن قوم زرقاء وقتل الكثيرين منهم، ربما تكون قد تناقلتها الروايات في ما بعد وضخمتها، خاصة أن الملك حسان الحميري اقتلع عيني زرقاء، فماتت بعد مضي أيام قليلة.

معارضة وتشكيك

ويقول المشككون في قصة زرقاء اليمامة إن هناك مجموعة من المبالغات في قصتها: فأولا من الصعب على العين البشرية أن ترى مسافة تتجاوز خمسين كيلومترا، وهذا على شرط أن يكون الأفق ممتدا تماما، كان يكون على قمة جبل مرتفعة، أما زرقاء اليمامة فلم يرو عنها صعود الجبال. والمشكلة الثانية في قصة زرقاء نابعة من حقيقة أن الأرض كروية وليست مسطحة، وهذا يعني أن الأفق بعد مسافة تقارب خمسة كيلومترات لا يعود مرئيا، لأنه يغطس وينحني مختفيا مع تكور الأرض، ولا تستطيع أشعة الضوء الالتفاف لتلتحقه، ولذلك فمن الصعب رؤية شيء واقف على سطح الأرض يتجاوز بعده عن المشاهد خمسة كيلومترات. بالمقابل، فإن روايات أخرى نقلت عن زرقاء اليمامة تجعل وصفها منطقياً أكثر، إذ وصفت بأنها ترى الشخص على مسيرة يوم وليلة، وهذا يعني قرابة خمسين كيلومترا. أما بالنسبة لموضوع انحناء سطح الأرض، فربما كانت تصعد هضبة أو تلة قريبة من مساكن قومها مما يتيح لها التغلب على هذه الصعوبة ورؤية مسافة أبعد.

في كتاب العقد الفريد

«زرقاء بني نمير: امرأة كانت باليمامة تُبصر الشعرة البيضاء في اللبن، وتُنظر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام، وكانت تُنذر قومها الجيوش إذا غزتهم، فلا يأتيهم جيش إلا وقد استعدوا له، حتى احتال لها بعض من غزاهم، فأمر أصحابه فقطعوا شجراً وأمسكوه أمامهم بأيديهم، ونظرت الزرقاء، فقالت: إني أرى الشجر قد أقبل إليكم؛ قالوا لها: قد خرفت ورق عقلك وذَهَبَ بصرُك، فكذبوها، وصبحتهم الخيل، وأغارت عليهم، وقتلت الزرقاء. قال: فقوِّروا عينيها فوجدوا عروق عينيها قد غرقت في الإثمد من كثرة ما كانت تكتحل به.»